دين العقل عند كانط

م.م شهد رحيم محمد

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

الملخص

نظر كانط إلى الدين على أنه دين عقلي ، أخلاقي ، وأطلق عليه في كتابه (الدين في حدود مجرد العقل) الدين الطبيعي, ولذا كان يرى أن البشر يجب أن يجمعهم دين واحد ، تنطبق تعاليمه على كل الناس وصالح لكل زمان ومكان, ما ادى به الى نقد أي دين خارج حدود العقل ، أي دين (تقليدي)، واعتبر ما هو شائع مجرد معتقدات ، وليست دينا حقيقيا. ولكنه مع ذلك اخذ من الديانات ما هو متسق مع الدين العقلي ورفض ما لا يتسق معه ، كقبوله الوحي ، ورفضه المعجزة ، ليتوصل الى فلسفة دينية مفادها ان العقل هو الأساس ويسبق الدين.

وعلى الرغم من اشكالية الدين عند كانط ، الا انه وضع القواعد الأساسية وأجاب على الأسئلة المهمة ، وقدم مفاهيم دينية ، واخلاقية ، وعقلية ، مثل الاحسان والعدالة والصدق والاحترام ، ليثبت فكرته عن الدين, فضلا عن اهتمامه بالأخلاق ، وعدها الأساس في بناء فلسفته عامة وفي بناء فلسفة الدين خاصة .

الكلمات المفتاحية : الدين ،العقل، الواجب ،الإحسان ، الاحترام، العدالة.

Kant’s religion of reason

Assistant Lecturer Shahed Raheem Mohammed
Al-Mustansiriyah University / College of Arts

Abstract

Kant viewed religion as rational and moral, and in his Religion within the limits of mere reason, he called it "natural religion." He believed that humanity should be united by one religion whose teachings apply to all people and are suitable for every time and place. This led him to criticize any religion that falls outside the bounds of reason—that is "traditional" religion. He regarded what is commonly accepted as mere beliefs, not as true religion. Nevertheless, he adopted from religions

what was consistent with rational religion and rejected what was not—such as accepting revelation but rejecting miracles—in order to develop a religious philosophy based on the idea that reason is the foundation and precedes religion.

Despite the problematic nature of religion in Kant's philosophy, he laid down fundamental principles, answered important questions, and introduced religious, moral, and rational concepts—such as benevolence, justice, honesty, and respect—to support his idea of religion. Moreover, he focused on ethics, considering it the foundation of his philosophy in general, and of religion philosophy in particular.

Key words: religion, reason, duty, benevolence, respect, justice–

المقدمة

كان ولا يزال موضوع الدين من أبرز وأكثر الموضوعات التي شغلت الفلسفة منذ بداياتها وحتى الوقت الحاضر ، حتى صار واحداً من أبرز الموضوعات الإشكالية فيها ، واختلفت الآراء حول الرد على هذه الاشكالية ، وخصص مختلف الفلاسفة جزءا كبيرا من كتاباتهم في هذا الجانب ، ومن بينهم الفيلسوف الالماني ايمانوئيل كانط ، وعلى الرغم من الاهتمام الكبير بفلسفته النقدية سواء من قبله او من قبل الباحثين ، إلا أن فيها للدين دوراً مُعتَداً به.

بحث كانط في موضوع الدين ، في كتابه (الدين في حدود مجرد العقل) وأيضا في كتبه الأخرى كلها وعلى وجه الخصوص كتاب (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) واجاب في مؤلفاته على اسئلة وجودية كبرى من قبيل : هل الأخلاق تسبق الدين؟ هل الدين عقلي أم أخلاقي ؟ هل الدين يشترط الوحي؟ هل للميتافيزيقا دور في تحديد إذا ما كان الدين عقليا؟

فجاءت فلسفة الدين عند كانط اجابة لهذه الأسئلة ، تحمل في طياتها المبادئ العقلانية التي تعطي للأخلاق أهمية كبرى. فلسفة لا تقتصر في فهم الدين على أنه معتقدات وممارسات بل له معنى أعمق ، يشترط فيه بالدرجة الأولى العقل.

أخذ مفهوم العقل دورا هاما في مجمل فلسفة كانط عامة وفي فلسفة الدين خاصة ، لذلك يجب التنويه إلى أن ذكر كانط لكلمة (العقل) في كتابه المعروف (نقد العقل المحض) كان معناها مختلف تماما عن ذكرها في عنوان كتابه (الدين في حدود مجرد العقل) على الرغم من اختيار نفس الكلمة في اللغة العربية في بعض الترجمات ، ففي الأولى ظهرت الكلمة الانكليزية (pure) والتي تعني (خالص) وعند كانط (العقل

الخالص الذي لا يعتمد على التجربة) اما في الحالة الثانية فقد ظهرت الكلمة (alone) التي تعني بالعربية (فقط) . والمعنى غير متقارب في اللغة العربية بين الكلمتين. ففي كتابه (نقد العقل المحض) قصد كانط (بالعقل المحض) كل معرفة مستقلة عن التجربة, وفي كتابه الثاني (الدين في حدود مجرد العقل) قصد به الوصول الى الدين من دون اي تدخل للنصوص الدينية او السلطات الخارجية.

تناولنا في هذا البحث الاشكالية حول علاقة الدين بالموضوعات الاخرى ، كالميتافيزيقا والاخلاق والواجب والإرادة ، وإن كانت بشكل مختصر ، لكن هذا ضروري جدا قبل الدخول في تعريف الدين عند كانط ، فهي مفاهيم مترابطة ، تشكل فهم كانط للدين.

كما تناولنا ، الموضوع الاهم وهو : تعريف الدين عند كانط والمقارنة بين نوعين منه ، دين عقلي ودين تقليدي

وفي جزء كبير من البحث أخذت موضوع المفاهيم الدينية ، من جانب أنها متداخلة بين الدين والاخلاق ومن جانب آخر تحمل في مضامينها اختلاف راي كانط عن معنى هذه المفاهيم في الديانات سواء كانت السماوية ام الوضعية.

واخيرا لابدَ من الاشارة الى نقطة مهمة لابدَ منها وهي : انني لم أتناول جميع مضامين فلسفة كانط في الدين وأيضا لم أتناول (الدين المسيحي) –الذي رأى انه الدين العقلي – تحديدا ، بسبب سعة الموضوع من جانب ، واثر الدين المسيحي –ديانة كانط– على فلسفته من جانب اخر. لكن بحثت في ابرز النقاط التي تلخص ما يدور حول الدين الحقيقي لدى كانط.

أولا: تأسيس الدين على الاخلاق

نقد كانط العقل النظري المحض بسبب محاولة بعض الفلاسفة السابقين له اثبات الموضوعات الخارجة عن حدوده, المتمثلة بالموضوعات الميتافيزيقية , على الرغم من كونه اطلق على الميتافيزيقا تسمية (ملكة كل العلوم) (كانط, ٢٠٢٢, ١٧٤) في ذلك الوقت, لكنه لم يكن راضيا عنها حتى بعد تحليله لإحدى اهم موضوعاتها (أدلة وجود الله) في قوله (ما زلت غير راض تماما عما اريد أن أعرف عن الله) (كانط, ٢٠٢٢,١٧٤) مشيرا إلى أنها (حتى الآن في حالة من الشك والتناقض قلقة جدا...وان الإمكان الذي تسعى الى توضيحه هو بالفعل ممتنع جدا) (كانط, ٢٠١٧,٤٠) وان (كل ما نسميه ميتافيزيقا لا يؤدي بنا... إلا إلى مجرد وهم لرؤية عقلية مزعومة لما استعير في الواقع من التجربة فقط , وصار له بفعل العادة , ظاهر الضرورة)(

كانط, ٢٠١٧, ٤٠) لذلك جاء نقد كانط للميتافيزيقا من رؤيته أن أفكارها مأخوذة من التجربة مع العادة والتكرار اصبحت لها التسمية المعتادة لكنها في الحقيقة موضوعات لا تناسب العقل البشري وغير متسقه مع قدراته, الذي اعده عقلا محدودا لا يمتلك القدرة على إدراك مثل هذه الموضوعات مهما حاول ذلك. فقال (العقل يتعثر بالميتافيزيقا باستمرار)(كانط, ٢٠١٧, ٢٤) لذلك هدم كانط الميتافيزيقا ولكن لم يكن هذا عداء للدين بل انقاذ للاخلاق والدين معا من جمود الفلاسفة الذين حاولوا يقضون على الاخلاق , اذ قال كانط (إن دعاة الميتافيزيقا، أعني، إن المحكمة القائمة على إمكان إحراز تقدم فيها دون نقدٍ للعقل المحض، هي المصدر الحقيقي لكل جمودٍ ومعارضٍ للأخلاق)(كانط, ٢٠١٧, ٣٨).

لذلك قدم كانط كتابا مهما مثل كتاب (نقد العقل المحض) غايته الاساسية تفنيد تلك الأفكار الخارجة عن حدود العقل والانطلاق إلى بحث الميتافيزيقا على أساس علمي على غرار بقية العلوم (وما غاية نقد العقل المحض سوى اخبار هذا الادعاء الذي يجعل من الميتافيزيقا علما على غرار الرياضيات والفيزياء وغيرها (كانط, ٢٠١٧, ٢٣).

وفي الكتاب نفسه راى انه من الضروري تنحيه العلم الميتافيزيقي النظري لفسح المجال امام الايمان, الذي يقود الى اثبات وجود الله , بقوله (لقد الغيت العقل لأفسح المجال للإيمان) ووفقا لقوله هذا فان كانط في كتابه (نقد العقل المحض) مهد للايمان , ترك له مكانا بينما في كتابه الاخر (نقد العقل العملي) اسس لموضوع الايمان وجعل منه ضرورة تفرضها الارادة والاوامر المطلقة.

بذلك اثبت كانط وجود الله عمليا وليس نظريا، وقال (لايسعني إذن أن اسلم بالله والحرية والخلود لصالح الاستعمال العملي لعقلي ، ان لم انكر ،في الوقت نفسه، على العقل الاعتباري دعواه برؤى مفرطة) (كانط, ٢٠١٧, ٣٨) وهنا اشترط كانط لكي ننقذ الافكار الكبرى (الله الحرية الخلود) يجب حتما وضع حدا للعقل الاعتباري (النظري) الذي حاول إثبات موضوعات تتجاوز امكانياته وتتجاوز التجربة الحسية.

نجد هنا تأكيد كانط على فلسفة اخلاقية نقدية قائمة على تحديد قدرات العقل المحض, لذلك طبق هذه الفكرة على الدين ورأى أن الأخير لا يقوم على العقل النظري بل على العقل العملي , فالدين عنده لا ينفصل عن الأخلاق، والأخلاق بدورها نابعة بالكامل من العقل العملي. كما سنوضح ذلك لاحقا.

أما عن أبرز الموضوعات الميتافيزيقية التي رفض كانط طريقة إثباتها عند السابقين ، هي (ادلة وجود الله) وفي محاضراته في فلسفة الدين , رفض بالتفصيل بعض الادلة التي قدمها الفلاسفة السابقين له وقدم دليلا أخلاقيا لإثبات وجوده ، دليلا يتداخل مع فلسفته القائمة على الأوامر الأخلاقية. من هنا نحاول الربط بين الموضوعات الميتافيزيقية والموضوعات الدينية الاخلاقية , من جانب أن رفض كانط للأولى يفتح الطريق امام الثانية, عندما قدم دليل وجود الله على اساس اخلاقي وعندما قدم لنا (دين اخلاقي).

نجد أن نقد كانط للميتافيزيقا أثر على مفهومه للدين , تحديدا عندما ربط بينه وبين العقل وقال بدين العقل. فإذا كان قد نقد الموضوعات الميتافيزيقية فهذا النقد ايضا طال الدين التقليدي والجعوة الى دين عقلي أخلاقي. وبين هذا وذاك نحن بحاجة إلى تقديم رؤية كانط للدليل الأخلاقي الذي اثبت فيه وجود الله .

١- الله كضرورة اخلاقية

في عصر كانط كانت النزعة الدينية هي النزعة السائدة فيه, متمثلة بسلطة الكنيسة التي أثرت على فلسفة كانط عندما تم التخاطب* بين كانط وبين الملك حول تأليف كانط لكتابه (الدين في حدود مجرد العقل).

وفي (محاضرات في التعليم الفلسفي للدين) وبعد أن فرغ من نقد براهين وجود الله انكب في هذه المحاضرات على الاهتمام بالقيم الأخلاقية وضرورتها, اذ كان يعتبرها السبيل الوحيد لتنظيم المجتمعات والتقرب الى الله (كانط, ٢٠١٧ , ٤٤) ، صاحب الفلسفة النقدية أراد اثبات وجود الله بالمحافظة على مجمل فلسفته وكأنه لم يجد طريقا غيرها لإثباته, في القول (ان مفهوم الله هو مفهوم اخلاقي وضروري عمليا)(كانط, ٢٠٢٢, ١٧٤).

وهنا نجد كيف جمع كانط بين الدين الأخلاقي وبين دليله الاخلاقي وقال (يجب ان يكون هناك كائن يحكم بنفسه العالم وفقا لقوانين العقل والاخلاق) (كانط: ٢٠٢٢, ١٧٤)

وكانط لم يثبت وجود الله بالمعنى التقليدي اي العلمي او الرياضي , بل اعتبر وجود الله يفرضه العقل العملي.

* مراسلة قام بها كانط بينه وبين الملك في كتابه نزاع الكليات, رد فيها على الملك الحاكم في وقته ليوضح له مدى تفهمه لاهمية الدين المسيحي وانه لم يكن بالضد من الدين او حتى ينقده بل العكس قد اشاد ببعض افكاره في كتابه المذكور.

وعلل ذلك بنظرته المستنبطة من اهتماماته الكبيرة بالأخلاق في كتبه سواء كان نقد العقل العملي ام كتابه الاخر الدين في حدود مجرد العقل.

وانطلق في إبداء رأيه لاثبات وجود الله, بالطريقة الاخلاقية من منطلق المفارقة بين بلوغ السعادة وتحقيق الرفاهية, اذ عن طريق الله يمكن حل مشكلة التوفيق بين الواجبات الاخلاقية وبين رغباتنا الداخلية لبلوغ الرفاهية, كما قال كانط (إن الملاحظة الدقيقة لجميع الواجبات الضرورية أخلاقيا لا ترتبط دوما بالرفاهية, إذ غالبا ما يساء فهم الصدق والاستقامة السامية, فتقابل بالاحتقار والاضطهاد وتداس تحت اقدام الرذيلة)(كانط: ٢٠٢٢, ١٧٤) ولتوضيح هذا النص نجد ان الانسان عندما يتبع الواجبات الأخلاقية سوف يحقق السعادة لكنه لا يحقق الرفاهية دوما, لان الانسان يتعرض للاحتقار والتذليل عند تطبيقه للقوانين الأخلاقية وبالتالي يفقد شعور الرفاهية , وهنا يحدث تناقض بين طبيعة الإنسان وبين الواجب الأخلاقي, لذلك تظهر الحاجة إلى حاكم يحكم العالم. اذ لابد من وجود قوة عاقلة، كلية القدرة، وعادلة تماما، تملك القدرة على الربط بدقة بين (أخلاق وفضيلة) الإنسان في الدنيا، وبين (لسعادة والرفاهية) التي يستحقها في الآخرة. هذه القوة هي الله.

وعند القول إن (الأخلاق تحتوي على شروط سلوك الكائنات العاقلة, التي بموجبها وحدها تستحق السعادة). (كانط: ٢٠٢٢, ١٧٤) ساعد كانط البشر على التمسك بالقوانين الأخلاقية , للوصول الى السعادة في هذا العالم, ولا يتسنى لهم إساءة فهم الافعال الواجبة بوجود إله حاكم عادل.

وكأن كانط ينطلق في اثبات وجود الله من فكرة الحاجة لوجوده , وليس اثباتا منطلقا من اعتباره (شيء في ذاته). الإثبات الذي طالما رفضه كانط وميز بينه وبين الشيء (كما هو ظاهر).

اذن وجود الله عند كانط نظرا لحاجة البشر إليه, فمن يحقق العدالة غيره؟ وهنا لخص كانط فكرته عن الله عندما قال (الأخلاق ترينا اننا لسنا بحاجة إلى الله فحسب, بل تعلمنا أيضا أنه موجود في طبيعة الأشياء وأن ترتيب الأشياء يقودنا إليه) (كانط: ٢٠٢٢, ١٧٥)

الخلاصة: ان اثبات وجود الله اعتمد على فكرة : لكي لا يكون الواجب الأخلاقي في داخلنا، عبثاً، نضطر إلى افتراض وجود الله ليحقق لنا العدالة.

٢- الاخلاق والارادة والاوامر المطلقة: جذور الايمان الكانطي

من هنا أي من الدليل الأخلاقي ننتقل إلى فلسفته الأخلاقية , في كتابيه (نقد العقل العملي) وكتاب (تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) منطلقين من المفاهيم الاخلاقية الاساسية , الارادة والاوامر المطلقة , لأن الدين الذي دعى له كانط – على الرغم من أنه دينٌ عقلي فهو دينٌ اخلاقيٌ أيضاً – دعا الأفراد إلى اتباعه.

أثرت الأخلاق في تشكيل الدين ، عندما أعطى كانط للعقل وظيفة عملية ، يمكنها ان تؤثر على الارادة , بمعنى اخر , لكي لا ينجر الانسان وراء رغباته يتدخل العقل ليجنبه الوقوع في ذلك , كما قال كانط (لما كنا قد اوتينا العقل ملكة عملية اعني ملكة عليها ان تؤثر أثرها على الارادة) (كانط , ٢٠١١, ٣١) وفي موضع آخر اكد ذلك وقال (لما كان العقل مطلوبا لأجل استنباط الافعال من القوانين ، فليست الارادة سوى عقل عملي) (كانط , ٢٠١١, ٥١) لذلك هذه الاخلاق قائمة على الارادة الخيرة وهذه الإرادة لا تقوم بفعلها الا في ضوء العقل العملي.

والإرادة هي ارادة قائمة في ذاتها من دون أي هدف أو غاية كما في النص ان ألإرادة (خيرة بغض النظر عن أي هدف أو غاية) (كانط , ٢٠١١, ٣١) فإن هذا مرتبطا بالدين عند كانط، من جانب أن الدين أيضا قائما على الإرادة الخيرة , فالإنسان لا يكون دينياً حقاً عند كانط إلا إذا امتلك أولاً إرادة أخلاقية حرة تختار الواجب، ومن ثم يتوجه نحو الدين لتحقيق العدالة المطلقة.

وهذه الإرادة لا يملكها إلا كائن عاقل يتصور القوانين وبحسب قوله (كل شيء في الطبيعة يخضع لقوانين. الكائن العاقل وحده هو الذي يملك القدرة على السلوك بحسب تصور القوانين اي بحسب مبادئ أو بعبارة أخرى هو الكائن الذي يملك الإرادة لذلك) (كانط , ٢٠١١, ٥١) من هنا يظهر لنا دور العقل جنبا الى جنب مع الارادة في وضع القوانين وهذه القوانين هي الاخرى تمثل الدين ، دين يتوافق مع المبادئ الاخلاقية وفقا لاعتبارات إرادية وليس دين نابع من سلطة خارجية.

ومن هنا يكمن التوفيق بين العقل والأخلاق واقامة دينا إراديا ، طبيعيا يصح تطبيقه في كل زمان ومكان وعلى جميع البشر...وفي ضوء دعوة كانط إلى دين عقلي ، إرادي ، قائم على قوانين أو مبادئ تنطبق على الجميع نجد أنه دعا الى جعل الأوامر الأخلاقية أوامر (مطلقة) عندما قال (إن تمثل مبدأ موضوعي ، من حيث إنه ملزم للإرادة ، يُدعى امرا (عقليا) والصورة التي يُصاغ فيها هذا الامر يُطلق عليها الأمر المطلق) (كانط ,

٢٠١١, ٥١) ، وهذا يعني أن الأوامر الدينية هي أوامر أيضا مطلقة لطالما صدرت من العقل.

وهذه الاوامر المطلقة هي أوامر غير مشروطة بقيد , ويتم فعلها لذاتها , وتتضمن الشمولية والتعميم وتنطبق على جميع البشر ، عندما قال (ان علي ان أفعل على هذا النحو أو ذاك ،حتى لو لم أرد شيئا آخر) (كانط , ٢٠١١, ٨٥) اي اننا ننفذ تلك الاوامر حتى لو لم تكن لدينا رغبة بها. كما قال كانط (كل الأوامر الأخلاقية المطلقة يعبر عنها بفعل (يجب)) (كانط , ٢٠١١, ٥٢) اي فعل الواجب.

اذاً, الارادة خيرة عند كانط ، تعتمد العقل وترفض (المبادئ التجريبية) في تأسيس الأوامر الأخلاقية من جانب أنها مبادئ لا تحتوي على طابع الشمول ، الذي يجعلها صالحة لكل الكائنات العاقلة وانتفاء الضرورة العلمية غير المشروطة المفروضة عليها(كانط , ٢٠١١, ٨٦) وهذا مايجعلنا نقول إن الدين أيضا لا يأخذ بأي أوامر تجريبية ولنفس الأسباب التي ذكرناها تو.

نقول بعد كل ما سبق ، إن كانط عندما أعطى أهمية للأخلاق وتحديدا للإرادة الخيرة ،فقد جعل الدين تابعا للاخلاق, وليس العكس كما فهو الحال في الدين التقليدي.

ثانيا: دين العقل عند كانط

نفى كانط حاجة الاخلاق الى الدين , وجعل من الاخلاق حقيقة قائمة بذاتها مصدرها الانسان كما في القول ان (الاخلاق لا تحتاج أبدا فيما يتعلق بذاتها إلى الدين...بل بفضل العقل المحض العملي هي مكتفية بذاتها) (كانط, ٢٠١٢, ٤٥)

كما اكد على عدم حاجة الانسان الى سلطة عليا تفرض عليه القوانين , لان العقل الانساني قادرا بذاته على وضعها والالتزام بها, اذ قال (ان الاخلاق ، من جهة ما هي مؤسسة على مفهوم الانسان، بما هو كائن حر...يستخدم العقل قوانينه اللامشروطة ، لذلك هو لا يحتاج الى فكرة كائن آخر حتى يعرف واجبه ولا إلى دافع آخر غير القانون نفسه حتى يلاحظه)(كانط, ٢٠١٢, ٤٥).

في هذا النص تتبين ثلاثة نقاط جوهرية : الأولى, تأكيد كانط على دور الإنسان باعتباره كائنا حرا ، قادر على الاختيار والقيام بأفعاله وفقا لعقله فقط من دون محاولة الانسياق وراء الغرائز.

اما الثانية ، حضور الواجب الأخلاقي والالتزام بالقوانين التي يضعها الإنسان ، فمثلا عندما يريد أن

يطبق قانون (الصدق) في جميع القضايا ، يلتزم تطبيقه في ذاته .

بينما الثالثة ، وهي اهم فكرة متعلقة، او الأكثر ارتباطا بموضوع بحثنا: عدم حاجة الإنسان إلى سلطة خارجية تفرض عليه القوانين.

وهذه الجزئية هي أكثر ما يثير الجدل في فلسفة كانط الدينية ، من جانب انها تدعو الى الغاء الاعتراف بالديانات الاخرى.

لذلك سنحاول التعمق في هذه الفكرة أكثر في السؤال الآتي : هل هناك فرق بين دين العقل وبين الدين التقليدي ؟ وهل توجد نقطة التقاء بينهما ؟

قبل البحث في الفرق بينهما لابد لنا من تعريف كل منهما, واعادة النظر في المفاهيم الدينية المتداخله بينهما ، كمفهوم الوحي والمعجزة.

عرف كانط الدين (إنما الدين –متى اعتبرناه على الصعيد الذاتي–هو معرفة بكل واجباتنا بوصفها اوامر الهية) (كانط, ٢٠١٢, ٢٤٤).

تعاليم هذا الدين قادمة من العقل الانساني وليست اوامر مفروضة من الخارج, وتسمى هذه الاوامر (الاوامر المطلقة). والانسان بفضل عقله يدرك واجباته تلقائيا.

الدين الطبيعي –كما أطلق عليه كانط– هو(الدين الذي ينبغي عليّ فيه أن أعرف مسبقا أن شيئا ما هو واجب ، قبل أن استطيع أن أعترف به بوصفه أمرا إلهيا) (كانط, ٢٠١٢, ٢٤٤).

اذ انك بعد أن تكتشف واجبك الأخلاقي بعقلك وتلتزم به بارادتك الحرة يأتي الدين ليعطي هذا الواجب قدسية مطلقة. فمثلا أنت لا تفعل الصدق لأن الله أمر به (هذا لاهوت تقليدي)، بل أنت تفعل الصدق لأنه واجب عقلي، ثم ينظر عقلك إلى هذا الواجب بوصفه أمراً إلهياً.

اذ ان هذه الأوامر هي أوامر الله ، ومتوقفة عليه ، ولكن لا يمكن عدها عقوبات, اذ قال كانط تكمن (معرفة كل الواجبات على أنها أوامر إلهية، لا على أنها عقوبات، أي إنه قد تم اختبارها بوصفها أحكاماً متوقّفة بحد ذاتها على إرادة غريبة. بل بوصفها قوانين جوهرية لكلّ إرادة حرّة من أجل ذاتها، ولكن من ضرورة أن يُنظر إليها مع ذلك على أنها أوامر الكائن الأسمى)(كانط, ٢٠١١, ٢٢٤). وهنا ممكن تحليل نص كانط من جانبين: الاول, عند قوله (الواجبات باعتبارها اوامر الهية) إن مجرد تسميتها أو وصفها بأوامر الكائن الأسمى يجعل منها فرضٌ من سلطة خارجية ، لكن مقصد كانط مختلف, اي ان هذه الاوامر

صادرة من الله وطبعها في العقل البشري ولم يقدمها لنا في الكتب او على شكل معجزات , الفكرة التي رفضها كانط.

والثاني , إن سبب رفض كانط لفكرة (العقوبات) عند تعريفه لمفهوم الدين , انها فكرة مستمدة من بعض الديانات ، تعتمد على مبدأي الثواب والعقاب ، والالتزام بالاوامر الالهية على انها فرض عقوبات على الانسان , لذلك رفضها كانط واكد على اوامر العقل .

أما تعريف الدين التقليدي أو التاريخي (الدين الذي ينبغي عليّ فيه أن أعرف ...إن شيئا ما هو أمر الهي ، من أجل أن أعترف به بوصفه واجبي ، هو الدين الموحى به أو الذي يحتاج إلى وحي)(كانط, ٢٠١١, ٢٤٤).

نجد هنا أن كانط قارن بين دين العقل والدين التقليدي على اساس الالتزام بالواجب الاخلاقي . وهي مقارنة بين الواجب الالهي وبين الواجب الذاتي ، وهذا ما جعل من فكرة الواجب في الدين العقلاني ، تشبه فكرة الواجب في الدين السماوي من جانب الصرامة والمسؤولية في تطبيقها ، لأنه وبما ان الواجب ، الزام ناتج عن شعور ، والشعور مرتبط بالله ، فان الدين الحقيقي عند كانط دين إلهي على الرغم من قوله بدين عقلاني (لا يمكننا أن نعقد الأمل إلا على إرادة كاملة أخلاقياً (مقدّسة ومثالية)، وفي ذات الحين كلية القدرة أيضاً. وهكذا، بالانسجام مع هذه الإرادة، يمكننا أن نأمل في الوصول إلى الخير الأسمى الذي يقيمه القانون الأخلاقي، واجباً علينا، يجب أن نجعله موضوع جهودنا)(كانط, ٢٠١١, ٢٢٤).

وعندما أراد كانط التميز بين النوعين –الدين الطبيعي، العقلي ؛ والدين التقليدي ، التاريخي ، رأى أن الانسان لا يستخدم ارادته –كما اوضحنا سابقا– في تحقيق الواجب ، واعتبر نفسه عاجزا لا يمكنه امتلاك الإرادة للقيام بالأفعال الأخلاقية واعتبر هذا سببا لقبول الافكار الدينية اللاعقلانية كما قال (ضد دعوى تحسين ما بأنفسنا يحشد العقل المتبرم بطبعه من العمل الخلقي ، تحت ذريعة العجز الطبيعي ، افانين عدة من الافكار الدينية التي لم تؤخذ من منبع صاف) (كانط, ٢٠١٢, ١٠٨).

والسؤال الأهم والذي يحدد هذه العلاقة اكثر او الصلة بين هذين النوعين : هل من الممكن أن يكون الدين طبيعيا وموحى به في آن واحد؟ وهل يمكن ان يكون للعقل دورٌ في دين الوحي؟

يجيب كانط بالتأكيد ...(ان دينا ما يمكن أن يكون هو الدين الطبيعي، ولكن مع ذلك يكون دينا موحى به أيضا، وذلك حين يكون مُهيّأً على نحو بحيث إن البشر

قد استطاعوا أن يبلغوا إليه أو كان يجب أن يبلغوا إليه على الرغم من انهم لم يكونوا بلغوا اليه بشكل مبكر كفايةً ، او على مدى واسع النطاق بقدر منشود)(كانط,٢٠١٢,٢٤٥) كانط أدخل الوحي في دين العقل عندما نظر الى البشر بإمكانية بلوغهم الوحي ، بالاعتماد على عقولهم وأن كلاً من الوحي والعقل لهما دور مهم في فهم الدين ؛ ويقوم احدهما بدوره في ظل غياب الاخر ، للوصول الى الحقيقة . وبالرغم من ذلك , ان كانط لم يرفض الوحي والديانات السماوية , الا انه منحها وظيفة تربوية يمكن ان تستفيد منها البشرية كما في نصه (فإن وحيا أو تنزيلا لهذا الدين في زمان معين، وفي مكان معين، يمكن أن يكون شيئًا حكيما ومفيدًا جدًّا للجنس البشري، ولكن مع إضافة هذا الأمر، أنه ما إن يكون الدين الذي تم بذلك إدخاله موجودًا، وتم جعله معترفا به على نحو عمومي، فإنّ كل امرئ يستطيع بعد ذلك أن يقنع نفسه بحقيقته بالاعتماد على ذات نفسه وبواسطة عقله الخاص.)(كانط, ٢٠١٢,٢٤٥).

واذا كان الوحي يتنزل على الكائن العاقل , فهو اذن من يدركه , وهو من يحكم عليه , وبذلك يعتبر العقل اداة للتحقق من الوحي الا ان عكس ذلك غير ممكن , بمعنى ان الوحي لا يضيف للعقل شيئا.. جاء في نصه (بما ان الوحي ، يمكن على الأقل أن يتضمن أيضا في ذاته دينا عقليا محضا ،لكن هذا الأخير ، على العكس من ذلك ، لا يمكن أن يحتوي على العنصر التاريخي)(كانط,٢٠١٢, ٥٧).

لذلك يرى كانط ان الدين له وجهان: موضوعي وذاتي , في كتابه (الدين في حدود مجرد العقل) الاول هو الدين الموضوعي , والثاني هو الدين الموحى به , اذ قال (إنّ الدين من الناحية الموضوعية هو دين طبيعيّ، ومع ذلك فهو من الناحية الذاتية دين موحى به؛ ولهذا السبب فإنّ الاسم الأوّل هو على الحقيقة يناسبه)..(كانط,٢٠١٢, ٢٤٥). والذين الطبيعي دينا موضوعيا, لان المبادئ العقل ثابتة ومتاحة لكل البشر , اما الدين االذاتي الموحى به, يعتمد على الوحي والتزام الفرد بقصة محددة والتسليم القلبي بها. كالدين المسيحي.

من هنا يظهر اهمية الوحي , اذ انه لم انه ليس ضروريا في دين العقل ولكنه ضروري في الدين التقليدي ,كما قال كانط (اذا سمح بهذا الوحي ، لكنه يذهب إلى معرفته ، والقبول به فعلا ليس بالأمر المطلوب للدين ضرورة ، فإنه يمكن أن يسمى عقلانيا صرفا، أما الذي يعتبر الإيمان بهذا الوحي شيئا ضروريا بالنسبة إلى الدين الكوني ، فانه يمكن ان يُسمى صاحب المذهب فوق الطبيعي في مسائل الايمان)(كانط,٢٠١٢, ٢٤٤)

فهذا تأكيد ثان على ارتباط الوحي بدين العقل ، لان عدم ضرورة الوحي في دين العقل لا تعني نفيه ، وبالتالي احتمالية قبوله عند كانط.

بذلك لا يمكن عد كانط رافضا للدين أو حتى الوحي ، بل انه حدد الدين في إطار العقل واعطاه الأسبقية على أي دين خارجي.

وبالتالي على الرغم من التميز او الفصل بين النوعين ، الا انه في اخر الامر جمع بينهما في دينٍ واحدٍ ، دينٌ رفض فيه كانط (الافكار الشعبية الموروثة) بين الناس وقال (إنه لا يوجد إلا دين (حق) واحد ؛ إلا أنه يمكن أن يكون ثمة ضروب من المعتقدات)(كانط,٢٠١٢,١٨٢) وهذا ما وصف به الديانات السماوية والوضعية ، فقال (من الأنسب ...أن نقول : هذا الإنسان على هذا المعتقد أو ذاك ، فهو يهودي أو مسلم أو مسيحي أو كاثوليكي او لوثري ،من ان نقول انه على هذا الدين أو ذاك فلا يجب أن نستعمل العبارة الأخيرة أبدا عند مخاطبة الجمهور الواسع ...فإنها بالنسبة اليه عبارة متعالية جدا وغير مفهومة)(كانط,٢٠١٢,١٨٢).

وحتى عندما وجه كانط نقده للمعتقدات ، فهو لم ينقص من دورها في حياة البشر بالتأكيد ، لكنه رفع من دور الدين ، بجعله دين عمومي ، شامل يتم تطبيقه على الجميع. وقد يكون السبب وراء ذلك ، هي النزاعات التي تسببها اعتناق المعتقدات المختلفة ، مما جعل الأمر ضروري جدا لحسم هذه المشكلة ومحاولة وضع الحل لها.

هذا بالنسبة الى إجابة السؤال الأول ، أما اجابة السؤال الثاني ، فهي تكمن في نص كانط القائل (كل دين، على الأقل في شطر منه، وحتى دين الوحي، إنما ينبغي أن يحتوي أيضًا مع ذلك على مبادئ معينة من الدين الطبيعي. وذلك أن الوحي لا يمكن أن ينقله الفكر إلى مفهوم دين ما إلا بواسطة العقل) (كانط,٢٠١٢,٢٤٦).

ثالثاً: الخير والشر

ان الخير والشر من أكثر الموضوعات التي بحث فيها كانط في كتابه (الدين في حدود مجرد العقل) ومن اهم الموضوعات التي تفصل بين الدين الطبيعي والدين التقليدي.

من جانب ان الاخلاق هي اساس الدين عند كانط بخلاف الديانات , التي ترى ان الاوامر الدينية هي الاساس لفرض الاوامر الاخلاقية والالتزام بها.

والخير والشر هما ليس صفتين نكتسبهما من المجتمع، وليسا غريزتين بيولوجيتين مجبرين عليهما. اذ قال

كانط (ان الخير او الشر في الإنسان يسمى فطريا فقط في معنى انه كامن في اساسه قبل استعمال للحرية معطى في التجربة ومن ثم حاضرا في الانسان في الوقت نفسه مع الولادة)(كانط, ٢٠١٢,٦٩). بل انهما فطريان , يمثلان القاعدة الأساسية الكامنة في عقل الإنسان وروحه منذ لحظة وجوده، والتي بناء عليها سيتخذ هو لاحقاً قراراته بكل حرية وإرادة .

بذلك أرجع كانط الافعال الاخلاقية إلى حرية الاختيار والمسؤولية , وجعل من الدوافع هي التي تؤدي الى ذلك الاختيار , عند القول (ان القانون الخلقي هو لذاته في حكم العقل، نحو من الدافع، ومن يجعل مسلمته انما هو خيرا اخلاقيا)(كانط, ٢٠١٢, ٧٢)

و لكن كانط لم يحدد طبيعة ذلك (الدافع) في قوله (يمكن لدافع ما، مهما كان)(كانط, ٢٠١٢,٧١).وهذا تأكيد على حرية الاختيار ، وتأكيدا مباشرا على أنه لا يوجد شيء خارجي يحرك الانسان للقيام بأفعاله الخيرة او الشريرة بل كل شيءٍ يحصل في الداخل. ولذلك فالاوامر التي تكون قادمة من الخارج , كما هو الحال في الديانات, تلغي حرية الانسان في الاختيار.

لذلك دين العقل دين اخلاقي , يمكن تعميمه على بقية البشر باعتباره مسلمة يقينية اساسية اذ قال كانط (أن يكون الانسان قد قبل به –اي الفعل– في مسلمته وان يكون قد اتخذه قاعدة كلية يريد ان يسلك بحسبها)(كانط, ٢٠١٢,٧١).

ومن هنا نجد ان الخير والشر مفهومان عقليان عند كانط , يكمن اختيار اي منهما عن طريق (النية) وهي قرارا واحدا وثابتا , ومتناسبا للجميع. ان (النية ، أي الأساس الذاتي الأول للقبول بالمسلمات، لا يمكن أن تكون إلا واحدة ووحيدة ، وتتماشى بشكل كلي مع الاستعمال الكامل للحرية)(كانط, ٢٠١٢, ٧٣). فالنية هي التي تحول الاستعداد الفطري للخير والشر الى افعال حقيقية.

بالتالي فالخير هو أن تطيع القانون الاخلاقي , وأن الأنسان يفعل الخير لأنه يراه صائبا , وليس لأنه خائف من العقاب, وإن الشر هو معرفة القانون الأخلاقي وعدم تطبيقه و العمل به , بسبب الانانية والمصلحة الشخصية. فمن يطبق القانون الاخلاقي, يعد فعله خيرا ومن لايطبقه ففعله شرا.

اذاً, فالاخلاق مثلها مثل الدين , تعتمد على العقل والنية الواضحة في تطبيق الافعال الحسنه , ولا تعتمد على اوامر دينية قادمة من الخارج .

رابعاً: المفاهيم الدينية

١- الإحسان:

يعد فعل الاحسان من اهم الواجبات العقلية الدنية عند كان, اذ راى كانط ان الإحسان, حيثما استطاع الإنسان ، واجبا وانه ضرورة اخلاقية لا تتم بدافع الغرور ، لان هذا النوع من الافعال اذا تمت مقارنته مع الواجب ليس له اي قيمة حقيقية. لانه ناتج عن ميول اخرى لا انسانية. ،(كانط, ٢٠١٧,٣٣).

لان بعض الاشخاص يقومون بفعل التعاطف والشفقة مع الاخرين الا ان كانط لا يؤيد هذه الطريقة في تقديم الاحسان , على الرغم من انها طريقة تستحق الاحترام والتشجيع ،(كانط, ٢٠١٧,٣٣). لانها طريقة تتضمن دافع نفسي ادى الى القيام بالفعل.لذلك يجب ان افعل الفعل لانه واجب, وليس نتيجة مشاعر او رغبات دعتني الى فعل ذلك.

وما دعى كانط الى ذلك الراي , هو افتراضه ان ان الشخص الذي يقدم الفعل للاخر , شخص سيء المزاج , او كما سماه (بارد المزاج)غير مكترث لالام الاخرين , بسبب همومه الخاصة, ،(كانط, ٢٠١٧,٣٣).فهذا يدعوه الى تجاهلهم . اما اذا كان الفعل قادما من الشعور بالواجب , فلا تتدخل هنا الظروف الخاصة للانسان.

مثال ذلك عند القيام بفعل, يتفق مع المصلحة العامة الا انه يتضمن (ميل) الى الشعور بالشرف والفخر ، ففي مثل هذه الحالة نفتقد للمضمون الأخلاقي أو تفتقد للواجب . (كانط, ٢٠١٧,٣٣). لذلك ممكن ان نقسم الاحسان الى(احسان نفعي) ناتج عن تحقيق منفعة شخصية للفرد, واحسان(اخلاقي خالص) خال من الميول. وهذا النوع هو الاصدق وهو الجدير بالاحترام.

اذاً, يكون الإنسان محسنا وتتضمن افعاله قيمة أخلاقية أصيلة لابدَ ان يكون مجردا من كل ميل .(كانط, ٢٠١٧,٣٣). اي من كل شفقة ورغبة في الشهرة او المتعة النفسية .

لذلك نقد كانط القاعدة الاخلاقية التالية : (ما لا تريد أن يحدث لك)(كانط, ٢٠١٧,٧٧)وهي قاعدة تقوم على فكرة :يجب عليك ان لا تفعل ما لاتقبل ان يفعلوه الاخرين بك.

وصفها كانط بانها قاعدة (تافهة) وفي نفس الوقت تسمح (للمجرم) ان يجادل القاضي في حكمه(كانط, ٢٠١٧, ٧١-٧١).اذ يمكنه ان يطلب منه ان يضع نفسه في مكانه, وهذا غير ممكن عند اصدار الاحكام. لأنها-من وجهة نظره- لا تشير إلى فعل (الإحسان) الذي اكد عليه بجعله واجبا اخلاقيا, فمن الممكن -وفقا لتلك القاعدة- يكون الفعل نابعا من (مشاعر) الإنسان, قد تكون غضب أو شفقة أو محبة، بمعنى أن هذا الفعل لم يقم على مبدأ (عقلي) مثلما يريد كانط.

ولذلك يرى كانط ان من أبرز الواجبات الواجب على الإنسان الوقوف عندها هو واجب الإحسان ، لأنه الواجب الذي يربط الفرد مع الآخر, ويحدد انسانيته, فمن الممكن أن يعد الاحترام أيضا واجبا مهما لأنه ايضا مرتبط بالآخرين لكن هذا الأخير يحتم على الإنسان ان يعامل الاخر او يعامل نفسه ككائن عاقل ، وان يقدر كرامته ويحترم وجوده ككل ، اما الإحسان فهو درجة اعلى في التعامل مع الاخرين، من جانب انه يسعى الى الثناء عليهم, وهو ما يجعل هذا المفهوم –اي الإحسان– هو أهم المفاهيم الأخلاقية ، الدينية ، غير الكاملة في فلسفة كانط

٢- الصدق

يعد الصدق هو الاختبار الحقيقي لحرية الارادة عند كانط, ، وانه يقوم على ضرورة اتباع القوانين ، وهذا الفعل لا ينتج الا من كائن عاقل كما في القول(كل شيء في الطبيعة يخضع لقوانين ، الكائن العاقل وحده هو الذي يملك المقدرة على السلوك بحسب تصوُّر القوانين ؛ اي بحسب مبادئ أو بعبارة أخرى هو الكائن الذي يملك "الإرادة" لذلك) (كانط, ٢٠١٧, ٥١)

فالصادق يملك الارادة الخيرة ويتصور من خلالها الأوامر المطلقة ، وبالتالي من يكذب لا يملك ارادته ويكون خاضعا لدوافعه وميوله, لأن ما يميز القوانين المطلقة التي تُجنب الانسان (الكذب) ، أنها قوانين تنطبق على جميع الناس وتنطبق على الفرد ، من ثم انها تحمي هذا المبدأ الأخلاقي –الصدق–من أي تشويه.

ومبدأ الصدق واضحا وفقا لفلسفة كانط الدينية والاخلاقية , الا ان المفهوم الذي يُشكل عليه كانط هو مفهوم (الكذب) وهو نقيض الصدق اذ رأى كانط (أن الكذب يمثّل "أكبر تعدٍّ" على إنسانية الإنسان، الذي يختلف عن الحيوان في كونه كائناً أخلاقياً يضع لنفسه قواعد سلوكية يجب عليه احترامها، مهما اختلف الزمان والمكان.) (خوان ميرو, ٢٠٢٢) فالصدق هو ما يميز الانسان عن الحيوان وبخلافه اي فعل نقيض هو عدم احترام للانسان.

ولكن مع ذلك تم توجيه النقد إلى رأي كانط الصارم حول موضوع الصدق ، من جانب تأكيده على ضرورة اتباع الواجب والأوامر المطلقة اذ بموجبها لا يمكن بناء مجتمع كما قيل (إذا نظرنا، نظرةً بالمطلق، إلى المبدأ الأخلاقي القائل بأن قول الحقيقة هو واجب، فإن مبدأ كهذا سيجعل قيام أيَّ مجتمع مستحيلاً") (خوان ميرو, ٢٠٢٢).

ان كانط الغى اي حق للانسان في ان يكون كاذبا حتى لو كانت له مبرراته , ومن جانب ديني , لم يرفض كانط الكذب لاسباب دينية كما هو الحال مع الديانات

بل رفضه لاسباب منطقية, واستند في ذلك من المبدأ المنطقي عدم التناقض من حيث ان الكذب نقيضا للحق (أهم ما يجب أن نحتفظ به في ذاكرتنا الواعية من نص كانط هذا، هو تأكيده على أن كل من يحاول التسامح مع الأطروحة القائلة بالحق في الكذب، يساهم مباشرة في إنتاج مجتمع مستحيل ومتفسخ، لأن الحق في الكذب مناقض تماما لمبدأ الحق ذاته.) (كانط, ب ت).

ومما لا شك فيه ، عندما ربط كانط الصدق مع اتباع القوانين فهو لم يستثني اي حالة تتيح للإنسان الكذب ، ولو كانت لأجل الانسانية التي طالما اكد عليها ...رأى (كانط أنه إذا كان "الكاذب لأسباب إنسانية" يكذب لتجنيب شخصٍ ما الأذى، فإنه بفعلته هذه يؤذي الإنسانية جمعاء، لأنه يمَسّ بواحد من أساسات حقوقها: قول الحق في أيّ ظرف كان.) (كانط, ب ت).

من هنا نتوصل إلى أنه لا مجال للكذب بالنسبة للكائن العاقل ، الذي عليه أن يتبع إرادته, حتى لو دعاه الكذب لحماية انسان اخر من اذى من الممكن أن يلحق فيه ، وبذلك يعد الكذب فعلا غير مقبولا ، ولا مبرر له, وفي حقيقة الأمر ان الإنسان الذي يتناقض قوله مع فعله ، فهو يناقض نفسه وبالتالي فهو يكذب بالدرجة الأولى على نفسه . وكذب الإنسان مع نفسه لا يصلح المجتمع بل يزيده اضطرابا ، فهو البذرة الأولى لأي إصلاح يعمم على بقية الجوانب الأخرى .

تجدر الإشارة هنا إلى مخالفة كانط لوجهة النظر الفلسفية السائدة أو إغفاله لها ، فصحيحٌ أن معظم من سبقه من الفلاسفة كان موقفهم مشابه في رفض الكذب في الجانب الأخلاقي وعلى الصعيد الفردي ، إلا أنهم كانوا قد برروا له سياسياً — بل أكدوا ضرورته – إذا ما كان الهدف منه الحفاظ على كيان الدولة.

٣- الاحترام

برزت أفكار كانط الدينية عندما نوه إلى مفهوم الواجب –كما ذكرناه سابقا– وهو مفهوم قائما على نقطتين حوهريتين لا غنى عنهما في أخذ هذا المفهوم. الأولى عندما يكون الواجب ضروري اتجاه الذات والثانية عندما يكون الواجب ضروري اتجاه الآخرين .

اذ ان مفهوم الاحترام ، مفهوم ديني عقلي , يريد من الإنسان الذي يقوم بواجباته ، أن يحترم ذاته اولا ويحترم الاخرين ثانيا.

في الحالة الأولى يطرح كانط مثالا في كتابه (تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق) يشرح فيه طريقة الاحترام عندما رأى أن الشخص الذي يُقدم على فعل (الانتحار) لابدَ ان ينظر الى نفسه من وجهة نظر الانسانية –التي اكد

عليها في مجمل فلسفته الاخلاقية والدينية– لأن الانسان الذي يقوم بفعل الانتحار هربا من امرٍ مؤلمٍ حدث له فهو يخل بقاعدة الاحترام للذات ، ولابد له ان يعامل نفسه دائما (هدفا في ذاته)(كانط,٢٠١٧, ٧١) وأن لا يعامل نفسه على انه (مجرد وسيلةٍ تهدف الى المحافظة على حالةٍ محتملة الى نهاية الحياة) (كانط,٢٠١٧, ٧١) من ثم فهو يرى ان الانسان لا يملك حق التصرف –كما يحلو لي أو عندما يتألم – في نفسه وفي جميع النواحي الي تلحق الضرر به (فلست املك حق التصرف في الانسان الكامن في شخصي ، سواءٌ كان بتشويهه، أو افساده ، او قتله) (كانط,٢٠١٧, ٧١)

ومما شغل كانط أيضا في هذا الجانب (احترام الذات) إن الإنسان الذي ينجرف إلى حالة اضطرارية تفرض عليه أن يقوم بفعل –يبدو انه شرَ – اتجاه نفسه، كأن يقوم بقطع جزءٍ من جسده او يده ، فهذا فعلٌ طالما انه يحافظ على حياته فلا بئس من القيام به وانه فعلٌ مرتبط بالأخلاق بمعناها الخاص. (كانط,٢٠١٧, ٧١)

أما الحالة الثانية المتعلقة باحترام الآخرين, فهي متعلقة بموضوع معاملة الانسان على انه غاية في ذاته ، وانه لا يفعل –أي فعل– من دون الاستناد إلى هذه القاعدة ، وهذا ينطبق على جميع البشر كما ينطبق على الفرد نفسه , وبالتالي لا يمكن جعله وسيلة ، لتحقيق غاية ما, قال كانط حول الكائنات العاقلة إن (طبيعتها قد ميَّزتها بكونها غاياتٍ في ذاتها ، أي بما لا يجوز له أن يستُخدم كمُجرَّد وسيلة) (كانط,٢٠١٧, ٧١).

وفي قول آخر قال (ان الكائن العاقل، من حيث إنه بحسب طبيعته غاية)(كانط, ٢٠١٧,٧٢)(وبالتالي من حيث هو غايةٌ في ذاته ، ينبغي أن يكون بالنسبة لكل مُسلمة –قاعدة ثابتة– شرطا يحدُّ من جميع الغايات التي تكون مُجرد غاياتٍ نسبية أو تعسفية)(كانط,٢٠١٧, ,٧٩).

لخص كانط ذلك في مقولته المعروفة (افعل الفعل كما لو كان على مسلماك أن تصلح في الوقت نفسه قانونا عاما لجميع الكائنات العاقلة)(كانط,٢٠١٧,٨٢). اذ ان هذه القاعدة هي المقياس الأخلاقي للانسان، وانها تمثل مبدأ الاحترام والموقف العقلي الوحيد الصحيح تجاه هذا القانون وتجاه الكائنات التي تحمله.

لذلك معنى أن تحترم إنساناً عند كانط، معناه أن تعامله بناءً على قواعد تصلح أن تكون قانوناً كلياً يحكم جميع العقلاء، دون استغلال، ودون التفات للمشاعر المؤقتة أو المصالح الشخصية.

وبذلك يعد احترام الآخرين هو حق من حقوقهم علينا ، ولا يمكن استخدامهم كوسيلة تقلل من ذلك ,على سبيل المثال عندما يتعلق الامر بالعطاء (فأن الذي ينوي أو يبذل وعدا كاذبا للغير سيدرك على الفور أنه يريد ان يستخدم إنسانا آخر كوسيلة) (كانط,٢٠١٧, ٧١) ، فهذا يدل على عدم احترام الآخر ، وآنه كما قال (مجافاة لمبدأ الانسانية)(كانط,٢٠١٧, ٧١) ويمثل هذا الوعد مثله مثل الاعتداء على حرية الاخرين وممتلكاتهم ، فهو يستخدمهم كوسيلة وليس غاية .ينظر(كانط,٢٠١٧, ٧١).

اذن احترام الإنسان لنفسه وللآخرين لا يعد احتراماً خارجاً على الإنسانية ، وليس احتراما ناتج عن اسس دينية شرعتها الديانات والزمت بها الانسان, بل انه قاعدة عامة اخلاقية قائمة على العقل , تنطي تحتها جميع المفاهيم الأخلاقية الأخرى من حيث إنها تفرعات جزئية لهذا المفهوم العام, فلو احترمنا أنفسنا والآخرين سوف نقدم لهم الإحسان وسوف نكون معهم صادقين وسوف نظهر التعاون وكل هذا يسير بنا إلى تحقيق العدالة.

الخاتمة

دين العقل عند كانط هو دين سعى إلى تحرير الدين من الوحي والتقاليد التاريخية وجعل الأخلاق هي الأساس متمثلة بالعقل البشري, فهو التزام داخلي ينشأ من ارادة خيرة تحترم القانون الأخلاقي .

لكن هذا التصور عن الدين آثار إشكالية مع الديانة المسيحية (ديانة كانط). فحصل تعارض بينها وبين الدين العقلي , فإذا كانط المسيحية تقوم على (التجسيد والثالوث والمعجزات) فان كانط راى ان العقل لا يمكنه ان يفهم هذه المعتقدات لانها تتجاوز حدوده, لذلك نجد , وعلى الرغم من مراعاة كانط للظروف المحيطة به , الا انه أثار –بفلسفته– على الديانة المسيحية وكل الديانات. وعلى الرغم من اتفاقه مع بعض مفهوم (الوحي) فهذا لانه اتفق مع العقل. وهكذا رفض كانط كل ما لا يتسق مع العقل. وبذلك :

– ان الدين عند كانط في جوهره هو علاقة بين الانسان وبين الواجب أو القانون الاخلاقي وليس مجرد طقوس ظاهرية , كتلك التي رفضها كانط.

– الدين لدى كانط هو دين العقل, وهو دين اخلاقي لا يعتمد على الطقوس والعبادات الخارجية، لذلك نجد ان كانط جعل الاخلاق سابقة على الدين.

– ربط كانط بين فلسفته وبين دين العقل ، إذ جعل منها الأساس الذي اعتمده لأجل وضع هذا الدين ، متمثلا بالعقل العملي ، الذي اعتمده في حل إشكالية نقده للعقل .

– عدم خروج كانط على ديانته المسيحية في بعض أفكاره ، التي كان لها السيطرة آنذاك, وهذا واضح من خلال المراسلة التي كانت بين كانط وبين الملك حول تأليفه كتابه المختص في الجانب الديني (الدين في حدود مجرد العقل) والتي ذكرت في كتابه (نزاع الكليات) ويؤكد ذلك ان دفاع كانط عن بعض تعاليم الديانة المسيحية ولم يقم بثورة كما فعل الفيلسوف سبينوزا الذي خرج على الديانة اليهودية وأقام ما اقامه ضدها لذلك نجد ان كانط لم يملك الجرأة في فعل ذلك.

– قوانين كانط العقلية الدينية ، المطلقة والشمولية ، قوانين اكثر صرامة من القوانين الالهية ، لأنها تكون من الإنسان ذاته.

– قدم كانط مفاهيم ، تبدو أنها أخلاقية ، لكن في حقيقتها هي مفاهيم دينية أيضاً ، لأنه ربط بين الدين والاخلاق ، كما أنه جعل الالتزام بها ، أمراً يعزز الخير في دين العقل ، فمثلاً الاحسان الى الآخرين ، اخلاقياً ، هو صورة للخير الاسمى والتقرب الى الله .

– وأخيراً هدف الدين هو تهذيب النفس وإعلاء صوت الضمير وتنمية الفضيلة ليتجلى المعنى الحقيقي للإيمان الصادق.

المصادر

كانط:

–نقد العقل المحض , ترجمة: موسى وهبة.

–نقد العقل العملي , ترجمة : غانم هنا, ط١, بيروت, ٢٠١١.

–تاسيس ميتافيزيقا الاخلاق, ترجمة عبد الغفار مكاوي, دار هنداوي, ب ط, ٢٠١٧.

–الدين في حدود مجرد العقل, ترجمة : فتحي المسكيني, دار جداول, ٢٠١٢.

–محاضرات في التعليم الفلسفي للدين, ترجمة: جوزيف معلوف, ط١, ٢٠٢٢.

–نزاع الكليات , ترجمة: فتحي انقزو , دار صوفيا .

–خوان ميرو/ إسبانيا ،عن الحقّ في الكذب": سِجال كانط وبنجامان كونستان ، العربي الجديد ـــ باريس, ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢)

–كانط: حول ادعاء الحق في الكذب لاسباب انسانية، ترجمة :حميد لشهب .